المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

مظاهر الحياة الاجتماعية في إقليم فزان خلال العصر الإسلامي

* فتحية محمد خير الودانى[1]

[1] قسم التاريخ –كلية الآداب –جامعة مصراتة

الملخص

يقصد بالحياة الاجتماعية في أي بلد من البلاد، ذكر عناصر المجتمع وطبقاته، من حيث الجنس والدين، وعلاقة كل من هذه الطبقات بعضها ببعض، ثم بحث نظام الأسرة وحياة أفرادها وما يتمتع به كل واحدة منهم، كما تشمل دراسة ووصف قصور الحكام ومجالسهم، وكذلك العادات والتقاليد المتبعة في احتفالاتهم واعيادهم، والمواسم والولائم والحفلات، ووصف المنازل، وما فيها من أثاث وطعام وشراب ولباس، وما إلى ذلك من مظاهر المجتمع.

وقد لقيت الدراسات الاجتماعية في الفترة الأخيرة عناية كبيرة من الباحثين، وذلك لأهمية الموضوع وعلاقته بتفسير الظواهر الاجتماعية السائدة في أيامنا هذه، والتي تعود جذور كثير منها إلى فترات موغلة في القدم، وذلك أن هذا النوع من الدراسات يُمكِّن من إماطة اللثام عما كان يجري في تلك الفترة، وكيف كانت العلاقات الانسانية بين العناصر السكانية ومختلف طبقاتها، التي تسكن المنطقة، ومنطقة الدراسة في هذا البحث إقليم فزان، إقليم من ثلاثة هي ما نعرفه اليوم باسم ليبيا.

عليه تكمن الأهمية العلمية للبحث في دراسة التاريخ الاجتماعي لإقليم فزان، التي تكسب أهمية بالغة، في كونها تكشف عن أهم الجوانب في نمط حياة العناصر السكانية وطبقاتهم المختلفة، التي كانت تقطن هذا الإقليم، وعاداتهم وتقاليدهم خلال فترة التاريخ الإسلامي.

ومن هنا جاء سبب اختيار الموضوع لإن دراسة الظواهر الاجتماعية في إقليم فزان لم تنل قسطًا وافرًا من البحث والتنقيب، رغم أهمية دراسة مثل هذه المواضيع.

ولتحقيق ذلك وضع هدف محدد، وهو الوقوف على المظاهر الاجتماعية التي سادت إقليم فزان، للتعرف على أهم العناصر السكانية، ومناطق استقرارها في الإقليم، ومعرفة طبيعة حياتهم بشكل عام.

أما الإشكالية الرئيسية للبحث فهي معرفة مكونات المجتمع الفزاني بشكل خاص من خلال تتبع النظام الاجتماعي للأسرة للوقوف على أحوال إقليم فزان وسكانه ومدار معيشتهم وأسماء القبائل ومشايخهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وهل كان للسكان المحليين بعض العادات والتقاليد التي حافظوا عليها وأضافوا إليها ما يتلاءم مع حياتهم الخاصة؟

ولمعالجة تلك الاشكالية اعتمدنا على بعض من المناهج التي تعنى بدراسة الموضوع وحل مشكلاته، لعل أهمها منهج (الوصف السردي) الذي ينصب على وصف الوقائع والأحداث التاريخية كما هي قائمة، وقد اعتمدنا عليه في تغطيت الفترات الشاغرة في تاريخ إقليم فزان، ورصد الأحداث التي ارتبطت بالأوضاع الاجتماعية بصفة خاصة، كما اعتمدنا على (منهج التحليل) في تحليل الظواهر والأحداث المختلفة، في الوصول إلى أحكام معلله ومنطقية.

وعملاً بالشروط المنهجية المعروفة، فقد قسمنا البحث إلى ثلاث محاور ثم تديله بخاتمة تضمنت أهم النتائج.

محاور البحث: أولاً/ التعريف بالإقليم، ثانيًا/ تسمية الإقليم وأهم مدنه، ثالثًا/ عناصر السكان،_رابعًا/ طبقات المجتمع، خامسًا/ الأطعمة، سادسًا/ الزي الشعبي (الملابس)، سابعًا/ العادات والتقاليد

الكلمات المفتاحية: الظواهر الاجتماعية –– إقليم فزان –– عناصر المجتمع وطبقاته –– العادات والتقاليد.

* مؤلف البحث: عناوين البريد الإلكتروني f.elweddani@art.misuratau.edu.ly

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

Social Life in the Fezzan Region During the Islamic Era

* Fathia Muhammad Al-Wadani[1]

[1]Departamento de Historia - Facultad de Artes - Universidad de Misurata

Abstract:

Social life in any country refers to the elements and classes of society in terms of gender and religion, and the relationship between these classes. It also involves examining the family system and the lives of its members, including what each one enjoys. Additionally, it includes the study and description of the rulers' palaces and their councils, as well as the customs and traditions followed in their celebrations and festivals, seasons, banquets, and parties. It also describes homes, their furnishings, food, drink, clothing, and other aspects of society.

The scientific importance of researching the social history of the Fezzan region lies in its ability to reveal the most significant aspects of the lifestyle of the various population elements and classes that inhabited this region, and their customs and traditions during the Islamic period. This is why the topic was chosen, as the study of social phenomena in the Fezzan region has not received sufficient research and exploration, despite the importance of studying such topics.

To achieve this, a specific goal was set: to identify the social phenomena that prevailed in the Fezzan region, to understand the main population elements, their areas of settlement in the region, and to know the nature of their lives in general.

The main research problem is to understand the specific components of the Fezzan society by examining the social system of the family to understand the conditions of the Fezzan region and its inhabitants, their living standards, the names of tribes and their sheikhs, and their customs and traditions. It also seeks to determine whether the local inhabitants maintained certain customs and traditions and added new ones that suited their unique lives.

To address this issue, we relied on several methodologies that focus on studying the topic and solving its problems. The most important of these is the "descriptive narrative" method, which focuses on describing historical events and facts as they are. This method was used to cover the gaps in the history of the Fezzan region and to document events related to social conditions in particular. The study also relied on the "analytical method" to analyze various phenomena and events to reach reasoned and logical judgments.

Following the known methodological standards, we divided the research into seven sections and a conclusion that included the most important findings.

Research Sections:

1. Introduction to the region
2. Naming of the region and its main cities
3. Population elements
4. Social classes
5. Foods
6. Traditional attire (clothing)
7. Customs and traditions

Keywords: Social phenomena – Fezzan region – Elements and classes of society – Customs and traditions.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

أولاً/ التعريف بالإقليم:

بداية يجب أن نعرف أن كلمة فزان: تطلق على المنطقة الواقعة جنوب غرب ليبيا، حيث تحدها من الجنوب تشاد والنيجر، ومن الغرب الجزائر، وتمتد شمالاً حتى الحمادة الحمراء وشرقًا حتى الصحراء الليبية (ابن عريفة، 2010م، ص17)، حظيت فزان باهتمام كبير من الكتاب القدماء من اليونان والرومان، نظرًا لارتباطها بالجرمنت وعاصمتهم جرما (الأبيض، 1998م، ص34)؛ فتسمية فزان بمدلولها الجغرافي حديثة نسبيًا، إذ لم تكن شائعة في المصادر القديمة المدونة، رغم ورودها أحيانًا للإشارة إلى سكانها أو الإقليم نفسه تاريخيًا، يُثبت أن التسمية غير عربية الأصل (بازامة، 2018م، ص9) فعندما تحدث ابن الحكم والبلاذري عن عقبة بن نافع وفتحه لزويلة، ذكرا أن عمرو بن العاص وجه عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وسيطر على المنطقة، مما جعل ما بين برقة وزويلة تحت سيطرة المسلمين (ابن عبد الحكم، 1995م، ص198؛ البلاذري، 1988م، ص222).

كما ذكر ياقوت الحموي أن فزان ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب، وتقع في الإقليم الأول بعرض إحدى وعشرين درجة، وقيل إنها سميت بفزان بن حام بن نوح، عليه السلام، وتشتهر بكثرة النخيل والتمر، ومدينتها زويلة السودان، وغالبية سكانها ذوي بشرة سوداء. وقد ذكرهم جرير في شعره قائلاً:

قفرا تشابه آجال النعام به *** عيدًا تلاقت به فزان والنوب

(الحموي، 1990م، ج295/4).

تميل بعض الروايات التاريخية إلى أن الاسم مشتق من كلمة " تافسانا " ذات الأصل الطارقي، والتي تعني "حافة" نظرًا لكثرة الحافات في تضاريسها (الدناصوري، 1967م، ص11). كما ذكر محمود ناجي أن الرومان قد يكونون هم من نسبوا اسم الإقليم إلى أحد العرب المغاربة المسمى فزان (Fessan) (ناجي، 1970م، ص106)، وعُرفت أيضًا باسم "فزانيا(Phasania) "، وظل اسم فزان مستخدمًا في عصر الفتوحات الإسلامية لشمال أفريقيا وحتى يومنا هذا (الأبيض، 1998م، ص34).

ومن خلال دراسة المصادر التاريخية، نجد أن اسم إقليم فزان – كما نعرفه اليوم – لم يكن موجودًا في المصادر التي نعتمد عليها في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. كان اسم فزان يشمل بعض المناطق الحالية للإقليم، وليس كما نعرفه اليوم، ففزان تقع في الجزء الجنوبي من ليبيا (الماعزي، 2003م، 1/ 24– 25)، وتشمل مساحات شاسعة من الصحراء الكبرى، تغيرت حدود الإقليم على مر العصور بناءً على التغيرات السياسية، في العصر الإغريقي، ذكر "هيرودوت" أن فزان تتصل بديار قبيلة الناسامونيس الليبية، الذين كانوا يقيمون في الجزء الداخلي من خليج سرت حتى أوجلة (ابن عريفة، 2010م، ص17)، أما بليني الأكبر فأشار إلى الإقليم الواسع جنوب سرت وصبراتة (خشيم، 1967م، ص81 –82)، في العصر الروماني، ضم الإقليم الأراضي الواقعة خلف الجبال إلى الجنوب من غريان، وامتد حتى أوجلة (أيوب، د.ت، ص11)، في العصر الإسلامي، ذكر الإدريسي أن " أرض زغاوة تليها أرض فزان " (2002م، مج1/ 109)، وأشار ياقوت الحموي إلى أن فزان ولاية واسعة تمتد من الفيوم إلى طرابلس الغرب، وتقع في الإقليم الأول بعرض يبلغ واحدًا وعشرين درجة، ويمتد من أطراف طرابلس شمالا حتى تيبستي جنوبًا (2010م، ج4/ 206)، وعندما تحدث ابن سعيد عن غدامس، أشار إلى أنها تشمل بلاد فزان، وهي أيضًا جزائر نخل ومياه وتضم مدنًا وعمائر (1970، ص127)، أما ابن خلدون، فقد وصف موقع الإقليم بقوله: "... وفزان وودان قبلة طرابلس، كل واحدة من هذه إقليم يشتمل على بلدان عامرة ذات قرى ونخيل وأنهار" (1971م، ج6/ 100).

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

ثانيًا/ تسمية الإقليم وأهم مدنه:

حول أصل تسمية إقليم فزان، أشار المختار العفيف إلى مدلول اسم فزان بتفصيل من خلال مصادر اللغة والتاريخ المختلفة؛ فالرأي الأول يشير إلى أنها كلمة محلية اكتسبت الطابع اللاتيني، حيث أطلق الرومان على فزان اسم " فزانيا (Phazania) " نسبة للبربري المشهور فزان (2010م، ص31)، بينما ذكر الدويب أن هيرودوت هو من أشار إلى الإقليم باسم " فزانيا (Phazania) " (الدويب، 2004م، ص12).

والرأي الثاني يشير إلى ما ذكره اليعقوبي، بأن الاسم يعود للسكان وليس للمكان، حيث قال: " وجنس يعرف بفزان أخلاط من الناس لهم رئيس يطاع " (2002م، ص148)، وأكد البكري هذا الرأي عندما تحدث عن الطريق من جادو إلى زويلة، مشيرًا إلى أن سكان تامرما هم من بني قلدين وفزانة (1857م، ص10)، وأشار ابن حوقل أيضًا إلى اسم " فزان " عند ذكره للقبائل التي استوطنت الإقليم (1992م، ص103).

أما الرأي الثالث يتعلق بما ذكره ياقوت الحموي، حيث أشار إلى أن اسم " فزان " يعود لفزان بن حام بن نوح عليه السلام، ومدينتها زويلة السودان، وغالبية سكانها ذوي بشرة سوداء. وقد ذكرها جرير(1010م، ج260/4). في شعره قائلاً:

قفرا تشابه، آجال النعام به *** عيدًا تلاقت به فزان والنوب

وأشار المختار العفيف نقلاً عن الزروالي الأوجلي في تاريخه إلى أن فزان سميت باسم مالكها الذي أعمرها أولاً، وهو فزان بن حام بن نوح عليه السلام (العفيف، 2010م، ص32)، وفي موقع آخر، ذُكر أن الاسم يعود لإحدى القبائل الليبية (خشيم، 1967م، ص50)، وهناك رأي آخر يربط اسم " فزان " بجماعة من بني أمية استوطنت أفريقيا، فتسمت المنطقة باسمها قبل الفتح الإسلامي، كانت عاصمة فزان هي جرمة وسكانها الجرمنتيون (الزاوي، 1968م، ص251).

من خلال استعراض الآراء السابقة حول نسبة اسم فزان إلى السكان أو المكان أو اللهجة، يتضح أن اسم الإقليم موجود منذ عصور ما قبل التاريخ، وتلك الآراء تكمل بعضها البعض رغم اختلاف نطقها، وأصبح مدلول الاسم علمًا على الإقليم، وهو الاسم الذي اعتمده معظم الجغرافيين المسلمين الذين كتبوا عنه.

أما عن تحديد موقع إقليم فزان الجغرافي، فهي تقع بين دائرتي عرض 24° شمالاً و29° شمالاً، ويمتد بين دائرتي طول 12° و18° شرقًا تقريبًا (ناختيجال، د.ت، ص195)، حيث يمكن تشبيه الإقليم بصحن مرتفع محاط بجبال مرتفعة، يسوده المناخ الصحراوي، وتتميز طبيعته بالهضاب الصخرية والكثبان الرملية والمسطحات القاحلة (أيوب، د.ت، ص12).

يتكون الإقليم من سلسلة من الواحات المتناثرة على طول الأودية الجافة، مما يجعل حدوده الطبيعية والإدارية غير محددة وواضحة في أغلب جهاته، ويكتنفها الغموض، فهو ليس وحدة جغرافية قائمة بذاتها، بل يمتد في صحراء كبيرة شاسعة (الدناصوري، 1967م، ص59؛ العفيف السوري، 2010م، ص35، 37).

وعلى الرغم من ذلك، يُعتبر الإقليم منطقة تقاطع طرق متعددة، حيث كانت القوافل تسلكه منذ العصور القديمة، حاملة بضائع متنوعة تمر عبر الصحراء من الجنوب إلى الشمال، مما يسهل الاتصال بحوض البحر المتوسط، وقد برزت أهمية فزان لكونها حلقة وصل وملتقى لعديد من طرق القوافل التجارية التي تربطها بالمشرق العربي والشمال الإفريقي وبلاد السودان الأوسط والغربي، من أهم تلك الطرق، طريق غدامس غات، وطريق طرابلس مرزق كاوار برنو (الحضيري، 1979م، ص99)، ويزخر الإقليم بالعديد من الواحات التي ساهمت في تسهيل التواصل وتلطيف درجات الحرارة، وقلصت

من مساحة الأراضي القاحلة، مما أكسب فزان أهمية جغرافية ومكانة استراتيجية في علاقتها بما وراء الصحراء الكبرى (الأبيض، 1998م، ص35).

وفيما يتعلق بفتح إقليم فزان، كان ذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (13–23هـ/634–644م)، بعد أن أتم القائد عمرو بن العاص فتح مصر في عام 22هـ/642م، توجهت أنظاره نحو إقليم برقة استعدادًا لفتح إفريقية، فكلف القائد عقبة بن نافع بفتح الواحات الداخلية في فزان، ونجحت جهوده وتمكن أهل الإقليم من دفع الجزية (البلاذري، 1988م، ص222).

وبخصوص هذه الاستراتيجية الحربية التي وضعها عمرو بن العاص لفتح ليبيا، ناقش هذه الاستراتيجية بازامة، موضحًا مدى الأهمية التي كان يتمتع بها الجنوب الليبي آنذاك، سواء من ناحية سياسية أو عسكرية؛ لأن ودان تعد منفذا شماليا من الغرب لبرقة، وكذلك زويلة منفذا جنوبيا من نفس جهة الغرب، ناهيك عن كونها الباب الرئيسي لأواسط القارة، بالإضافة للأهمية الاقتصادية؛ فهي تتحكم في طرق التجارية الصحراوية (2018، ص32–33)، وفيما يلي عرض لأشهر مدن الإقليم:

1– جرمة: أول حواضر فزان، وعرف بجرمة أو قرما نسبة للجرامنت أو القرامنت كانت الأولى، وظلت عاصمة فزان طوال فترة ما قبل الإسلام (بازامة، 2018م، ص45)، تقع جرمة في إقليم فزان إلى الجنوب الغربي من وادي الآجال، إلى الشرق من أوباري، وإلى الغرب من سبها، التي تبعد عنها بنحو 170 كم تقريبًا (الزاوي، 2018م، ص79– 80؛ عبد الصمد، 2014م، ص8 هامش رقم 5)، تعتبر جرمة من أقدم المراكز التجارية في جنوب ليبيا، حيث قامت بها حضارة عريقة عرفت بالحضارة الجرمانتية، ووفق ما ذكر محمد أيوب أن جرمة دمرت في حوالي القرن الرابع للميلاد (1867م، ص49)، ولكن إذا سلمنا بذلك سوف نقف أمام ماذكره ابن عبد الحكم عند فتح عقبة بن نافع، بعد فتح ودان، سأل عن وجود أي مدينة أخرى، فأُخبر بجرمة، وهي مدينة فزان العظمى، تم فتح جرمة دون مقاومة تذكر (ابن عبد الحكم، 1995م، ص222)، باستثناء بعض القرى التابعة لها، وأُخضعت وفرضت على أهلها جزية ((البلاذري، 1988م، ص222؛ الحضيري، 1989م، ص37)، يعتبر الإدريسي جرمة جزءًا من أرض فزان ووصفها بأنها " أرض زغاوة " وتحتوي على مدينة جرمة وآبارًا (2002م، مج112/1)، وأخذت جرمة في الضعف والانحلال بعد ازدهار مدينة زويلة، ثم عادت للظهور في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي وذلك بعد ظهور الجرمان الذين اتخذوا من جرمة عاصمة لهم (احويلات، 1322هـ، ص153).

2– زويلة: تقع مدينة زويلة في المنخفض الأبعد نحو الشرق في منطقة فزان الحالية، وهي الواحة الوحيدة مع تمسة التي لم يتغير موقعها منذ أكثر من ألف عام (تيري، 2004م، ص458)، فهي تشكل أول حدود بلاد السودان (البكري، د.ت، ص10؛ ياقوت الحموي، 1990م، ج179/3؛ القزويني، د.ت، ص94).

ناقش بازامة مفهوم زويلة لدى بعض الجغرافيين والمؤرخين، مستوضحًا بداية وجود هذه المدينة (2018م، ص48–52)، وسنلقي الضوء على بعض ما ذكره هؤلاء الجغرافيون والمؤرخون؛ ففي رواية اليعقوبي، قال: " ووراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة وهم قوم مسلمون ... " (1890م، ص134)، مما يشير إلى أنها تسمية إثنوغرافية وليست جغرافية، بينما ذكر ابن الحكم في روايته: " ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين " (1995م، ص198)، مما يؤكد أنها منطقة أو بلد، أما البلاذري، فقد ذكرها دون تحديد صفتها قائلاً: " قد ولى عقبة بن نافع الفهري المغرب فبلغ زويلة وأن من بين زويلة وبرقة سلم كلهم حسنة طاعتهم " (1988م، ص222).

نلاحظ أن من جاء بعدهم نقل عنهم، مثل البكري الذي قال: " من هذه الصحراء إلى زويلة يوم ... وهي مدينة غير مسورة في وسط الصحراء " (د.ت، ص10)، أما الإدريسي، فقد نسب تأسيس مدينة زويلة إلى عبد الله بن خطاب الهواري في سنة 306هـ (2002م، مج312/1). بينما أرجع صاحب الاستبصار وجودها إلى فترة أزلية قديمة، قائلاً: "مدينة زويلة مدينة كبيرة قديمة أزلية في الصحراء تقرب من بلاد كانم، وهي من السودان، وقد أسلموا بعد الخمسمائة من الهجرة " (ص146)، وأوضح ياقوت الحموي نطق اسم زويلة قائلاً: "بفتح أولها وكسر ثانيها وبعد الياء المثناة من تحت الساكنة لام " (1990م، ج179/3).

استمرت زويلة في التطور والتوسع، من مدينة صغيرة مع مرور الزمن، لتصبح مدينة كبيرة في الصحراء، تحتوي على العديد من الواحات والآثار التي تدل على تاريخها العريق ففي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، أصبحت زويلة مدينة كبيرة تمتد على حدود صحراء السودان، حيث ذكرها الإدريسي كمدينة صغيرة (2002م، مج313/1)، وفي أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وصفها صاحب كتاب الاستبصار (1985م، ص146) بأنها "مدينة كبيرة قديمة أزلية في الصحراء". وفي أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، أشار الحميري (1984م، ص440) إلى أنها مدينة عامرة تتناثر فيها الواحات، أما ابن مليح الذي زارها بين عامي 1040–1042 هـ/1630–1632م، فقد وصفها بأنها "مدينة عظيمة... فيها مزارات وآثار تدل عليها. (عبد الصمد، 2014م، ص75).

ففي بداية تأسيسها، كانت المدينة غير مسورة، كما ذكر البكري (د.ت، ص11)، وظلت كذلك حتى القرن الحادي عشر الميلادي؛ ثم بُني لها سور في القرن الخامس عشر، ربما بسبب الحروب التي خاضها أولاد محمد، ومن ثم توسعت خارج أسوارها (تيري، 2004م، ص458).

أما عن تاريخها السياسي فقد فتحها عقبة بن نافع سنة 22هـ، وأعاد فتحها مرة أخرى سنة 49هـ بعد أن نقض أهلها العهد، وفي سنة 146هـ، سكنها البربر برئاسة عبد الله بن حيان الإباضي، ولكن بين سنتي 146–147هـ، هوجمت من قبل الوالي محمد بن الأشعث، الذي قتل رئيسهم، في أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حكمت فزان أسرة بني الخطاب برئاسة عبد الله بن خطاب الهواري، واستقر فيها هو وبنو عمومته، واتخذوها عاصمة ملكهم. بلغوا من القوة حتى ضربوا سكة ذهبية باسمهم، ودام ملكهم حتى سنة 568هـ، عندما انقرضوا على يد قراقوش الغزي، وكان آخر ملوكهم محمد بن خطاب، الذي قتل على يد قراقوش (الزاوي، 2018م، ص140–141).

3– زلة: بلدة تقع في أعماق الصحراء الليبية، وتُعد من أقدم المناطق التي استوطنتها بعض القبائل، تشير الشواهد الأثرية إلى تعاقب هذه القبائل على الموقع الحالي للمنطقة، وتتميز زلة بكونها أرضًا خضراء في قلب الصحراء، تغطيها أشجار النخيل وتتباعد فيها الأحياء السكنية، وقد اكتسبت شهرتها التاريخية من موقعها الجغرافي على طريق القوافل التجارية الذي يربط بين مناطق الساحل وداخل الصحراء الليبية (محمد، 2024م، ص173)، فلم يُذكر اسم زلة لأول مرة إلا في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي (تيري، 2004م، ص445).

اختلفت الروايات حول مدلول اسمها، حيث ذكرها البكري باسم "زلهى" (د.ت، ص12)، والإدريسي باسم "زالة" (1989م، مج312/1)، ومؤلف مجهول باسم "زلي" (1985، ص147)، أما عن وصفها؛ فقد وصف البكري مدينة زلهي بأنها كبيرة وواسعة، تحتوي على جامع ونخل كثير وعين ماء (د.ت، ص12)، بينما وصفها الإدريسي بأنها "مدينة صغيرة ذات سوق عامرة، ومن زالة يدخل إلى بلاد السودان" (1989م، مج1، ص312)، وحدد المسافة بينها وبين زويلة بعشرة أيام، مشيرًا إلى وجود مدينة صغيرة تُسمى مستيح بينهما (1989م، مج312/1).

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

وتشير الروايات إلى أن الاسم الحالي للمدينة تطور عبر مراحل مختلفة. يُعتقد أن تسمية زلة تعود إلى اسم بربري قديم، حيث كانت تُعرف بـ"عين زلال" نسبةً إلى عين ماء عذبة طيبة المذاق، والتي تُعرف الآن باسم "عين زلة" (محمد، 2024م، ص173)، فزلة عبارة عن تجمع عمراني وسلسلة من بساتين النخيل التي تمتد من الشمال إلى الجنوب على طول خمسين كيلومترًا، والماء الجوفي بها قريب والعيون كثيرة، يُعد النخيل أهم مصادر ثروتها، إلى جانب موقعها المثالي على الطريق المباشر من إقليم برقة نحو زويلة (تيري، 2004م، ص445).

4- سبهي أو سبها: تقع سبها إلى الشمال الغربي من زويلة بمسافة 120 كم تقريبًا (عبد الصمد، 2014م، ص10)، ومن خلال الاطلاع على المصادر التاريخية والجغرافية نجد أن سبها لم تذكر إلا من قبل البكري فقط واصفًا إياها بأنها تعد مدينةً كبيرة بها جامع وأسواق، وبين مدينة زويلة وسبها مسيرة خمسة أيام تقريبًا على حد قول البكري (د.ت، ص11)، ولم نجد أي معلومات عنها خلال القرون الوسطى، ولعل الشريف الذي كان يحكم فزان في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، كان يقيم في مرزق وسبها على السواء (تيري، 2004م، ص480).

5- غات: تقع غات في طرف الجنوب الغربي من ليبيا، على السفوح السفلى لجبل كوكمن في حوض وادي تنزوفت وبين جبال إمساك ملت وتادرارات أكاكوس، تبعد عن طرابلس نحو 1326 كم تقريبًا، وعن جنوب غدامس بمسافة 580 كم تقريبًا، وذُكر اسم غات في الحملة الرومانية التي قادها كورنليوس عام 19 ق.م ضد الجرامنتيون، عندما كانت غات مركزًا عسكريًّا وتجاريًّا (عبد الصمد، 2014م، ص111)، وأول ذكر لها كان عند ابن بطوطة أثناء زيارته للمنطقة ما بين تكدا وتوات (1987م، ج713/2)، وأشار إليها أيضًا ابن غلبون الطرابلسي بـ "رات"، وصفها بأنها مدينة بربرية قديمة محاطة بسور قديم وتحتوي على نخل وقرى ومياه وفيرة (1349هـ، ص113 هامش رقم 3)، وتُعتبر قرية تونين أحد أهم القرى التابعة لها، الفيوت، العيونات، والبركت الواقعة على بعد عشرة كيلومترات جنوبها، وهي مكان ملفت للنظر وباعث للبهجة (ناجي، 1970م، ص107؛ الزاوي، 1968م، ص238).

6- تساوة :تمتاز تساوة أو تساوت بتاريخها الطويل، غمرها سيل جارف من وادي عتبة، وأعيد بناؤها (عبد الصمد، 2014م، ص38 هامش رقم 5)، وهي تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة جرمة، والإدريسي أشار إلى أنها جزء من أرض فزان، وتُعرف أيضًا بـ " تساوة جرمة الصغرى "، تقع قريبة من جرمة وتشتهر بآبارها (1989م، مج112/1).

7- تمسا أو تمسى : ذكر جاك تيري بأن موقع هذه الواحة على التل، لم يتغير منذ ألف سنة، وإن كان قد تقلصت مساحتها المسكونة، فما زالت بعض معالمها كالسوق القديم والمسجد وبقايا القصر القديم موجودة (تيري، 2004م، ص457)، تمسا تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة زويلة بمسافة تقريبًا 120 كم (عبد الصمد، 2014م، ص9)، وهي النقطة الأبعد نحو الشرق من فزان، لم تذكر تمسا إلا من قبل البكري، فوصفها كمدينة كبيرة بها جامع وأسواق، وتبعد عن زويلة يومان، ومنها إلى مدينة زلهى [زلة] ثمانية أيام (البكري، د.ت، ص12)، ورغم ذلك لم يتطرق لذكر سكانها، وقد ذكر جاك تيري أن معظم سكانه قد هاجر نحو سبها والساحل، بسبب أن طريق القوافل زلة – زويلة، لم يعد مستعملاً إلا من قبل بعض الرعاة، وذلك بسبب إنشاء طريق ودان – تراغن – زويلة، لذا لم تعد لتمسا أي أهمية تذكر (تيري، 2004م، ص457).

ثالثًا/ عناصر السكان:

سنتناول عناصر السكان في إقليم فزان، فقد تضاربت آراء المؤرخين والمستشرقين حول أصول سلالات أهل فزان القدامى، وخاصة أهل جرمة وحضارتهم الشهيرة، ويرجح محمد مناع أن أصولهم تعود إلى العرب العاربة الذين قدموا إلى

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

فزان من جنوب شبه الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر والسودان، ثم استقروا في فزان حيث بنوا حضارتهم (2013م، ص524-526).

لقد استوعب إقليم فزان مجموعة متنوعة من السكان، بما في ذلك البربر، الدوادا، والطوارق الرحل في الجنوب الغربي، بالإضافة إلى التبو في الجنوب الشرقي، وأشار هنريكو دي أغسطيني إلى أن الأصول السلالية في فزان تشمل العنصر البربري من سلالة هوارة (جدام مادغيس)، وقد امتزجت بعناصر أخرى وافدة من جهات مختلفة مثل سوكنة، وورفلة، ومزدة، وأوجلة، والجزائر، والمغرب. أما العنصر العربي، فينسب قسمًا منه إلى زغب (جدام بني سليم)، ومعظم الوحدات العربية يرجح قدومها من القبائل الرحل بوادي الشاطئ، وأولاد سليمان، ومقارحة سرت، ومحاميد الحوض، وأولاد بالليل بغدامس، وقبائل أخرى من برقة والجزائر ومصر (1974م، ص562-563).

كما أشار اليعقوبي إلى وجود أجناس متعددة في فزان بقوله: " فزان جنس يعرف بفزَّان، أخلاط من الناس لهم رئيس يطاع فيهم " (د.ت، ص184)، حيث اختلف المؤرخون في تحديد أصولهم العرقية، فهناك من يقول بأن سكان فزان القدماء كانوا من الإثيوبيين طوال القامة، الذين انحدر منهم الجرامنت (البرغوتي، 1971م، ص140)، بينما يذكر آخرون أنهم من الزنوج الذين يقطنون الكهوف في حمادة مرزق وما حولها، وكانوا قصار القامة، وقد أطلق عليهم هيردوت (التروجلودايت) (البرغوتي، 1971م، ص140)، وغالبًا ما تتجاوز هذه المجموعات الحدود مع الجزائر وتشاد والنيجر بحرية، في الشمال، يتداخل العرب والبربر والطوارق المستقرون والتبو، والمهم أن الفزازنة، سكان فزان، أصبحوا عرب حضارة وثقافة منذ أن توطد الإسلام في شمال إفريقيا، حتى وإن كان بعضهم اختلط بالعناصر الزنجية في جنوب البلاد عن طريق المصاهرة والتمازج العرقي (الأبيض، 1998م، ص37).

1- البربر: من الصعب الجزم بأن جميع سكان فزان يعودون بأصولهم البعيدة إلى الأمازيغ، سواء كانوا من البرانس أو البتر، ولا يمكن فصلهم تمامًا عن البربر (بازامة، 1018م، ص39)، نظرًا لموقع الإقليم بجوار مواطن البربر من الغرب والشمال، وعلى أطراف مواطن الشعوب الأفريقية من الجنوب، ومناطق الإنسان الذي استوطن الصحراء في العصر المطير، فإن البربر يعتبرون وافدين على شمال إفريقيا حوالي القرن العاشر قبل الميلاد (بازامة، 2018م، هامش 2، ص39)، ووفقًا لما ذكره اليعقوبي، فإنهم قوم يُدعون (لمطة)، وقال عنهم: " وما يلي زويلة إلى طريق أوجلة وإجدابية قوم يقال لهم لمطة أشبه شيء بالبربر، وهم أصحاب الدرق اللمطية البيض" (1890م، ص134)؛ فإذا لم يكن سكان فزان من البربر، فإنهم من أسلاف البربر، ويؤكد ذلك استخدام الجرمنت للعربة ذات الأربعة خيول، التي استخدمها الهكسوس لأول مرة في إفريقيا، الذين عاصروا أسلاف البربر " وسبقوا قوم جالوت أصل البربر في شمال إفريقيا " (بازامة، 2018م، ص39).

في القرن السادس الميلادي، قبيل الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، الذي كان تحت طغيان البيزنطيين، الذين لاحقوا الوثنيين من السكان الأصليين، يُحتمل أن البربر لجأوا إلى الصحراء هربًا بمعتقداتهم وخوفًا من بطشهم، وعلى إثر ذلك، دخلت مزاتة وادي الشاطئ، وهوارة دخلت جانبًا من الوادي الغربي، وربما بلغت طلائعها زويلة واستوطنتها مع أهلها قبيل الفتح الإسلامي (بازامة، 2018م، ص40)، وأمام الصراعات السياسية والمذهبية، كانت فزان بالحمادة الحمراء، ورملة زلاف، وحمادة مرزق وغيرها من المساحات الشاسعة ملجأً لمن تتعقبه السلطة الحاكمة، ودارًا آمنة من بطشها؛ ففر إليها الإباضي، واحتمى بها السني من الشيعي، وهكذا دخلت قبائل البربر إلى فزان من الغرب والشرق والشمال، ونظرًا لأن أغلب من يحيط بفزان من مزاتة ونفوسة وهوارة، فقد كان أغلب من استقر بها من هؤلاء (بازامة، 2018م، ص40-41)".

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

ذكر محمد أيوب أن اللمتون أو اللمطيين هم أسلاف الملثمين أو الطوارق، مستندًا إلى ما ذكره اليعقوبي بأنهم من البدو الرحل الذين تمتد مراعيهم من المحيط الأطلسي إلى مشارف زويلة (البرغوثي، 1972م، هامش1، ص211)، وأشار ابن خلدون إلى أن " لمطة أخوة صنهاجة، يمتدون من البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس جنوب طرابلس وبرقة " (1971م، ج181/6)، مما يعني أنهم ليسوا بربر، وربما هم الذين فتح عقبة بن نافع بلادهم في حملته الأولى، وأضاف اليعقوبي بذكر جنس آخر أطلق عليهم (فزان)، ولم يحدد أصلهم، بل وصفهم بأنهم خليط من الناس، فيهم رئيس يطاع (1890م، ص135)، وأوضح محمد مناع أن الفزازنة " تنتمي عميرة أولاد بدوي إلى العلاونة (بني سليم) التي تقيم في النواحي الأربعة، باستثناء القصاص الذين ينحدرون من أبي قصيصة (بني هلال)، وينحدر أولاد جمعة من المرابط سيدي جمعة، بينما ينتمي المواكي إلى المقارحة في وادي الشاطئ، وتنحدر عائلة العربي من المرابط سيدي جناح الدبري والتيتوي من أهل مرزق، ويعود أصل الفقهاء والتومي وأبي شعوة إلى هوارة أو لواتة (2013م، ص267).

وذكر أوغسطيني أن في مرزق توجد " لحمات ابن أحمد والنغنوغي وزين العابدين والشاويش وكباري وحمدون وقديم ومامي وكتيتي والحاج جبريل طاهر، وهم من قدماء البربر في المنطقة ويعرفون باسم (المخازنية) لخدمتهم العسكرية الحكومية " (1974م، ص565)، وفي بلد حج حجيل، تشمل عائلة رافة، وعائلة محمد الشيخ، وعائلة جيب الله، وهم بربر مخازنية. وكذلك في بلد دليم، سكانها من بربر الوادي الشرقي مثل عائلة هيفية، وعائلة صالح محمد، وعائلة أبي الريش. وفي بلد زايزاو، تضم عائلة الصالحين، وعائلة بن علوة وخلود في مرزق، وهم من بربر أوجلة، وعائلة بن موسى والفتاتحة من بربر زويلة. وعن بربر مجابرة برقة، فمنهم عائلة سندو، والعلالصة، والكراكرة، وهم بربر من الأهالي في سوكنة (أوغسطيني، 1974م، ص565).

وفي زويلة، تم تصنيف البربر إلى بربر من محروق (وادي الشاطئ)، ومنهم عائلة المحروقي، وبربر من القطرون، ومنهم عائلات بني الغالي والحداد، أما البربر المحليون فقد استقروا في بلد تربو وبلد أم الزوير، وتم ذكر تواجدهم في سبها أيضًا كعائلة خبيري والشقارنة والنواعم، وفي بلد تمنهد (الحميدية)، يُوضح أن أبناء عتيق هم بربر وافدون من واحة مرادة (سرت)، والسعائدية بربر من تلمات ورفلة، والبنادقة من مشاشي مزدة، بينما السبيحات والتوافقية من ورنزة مزدة، واليعاقيب من بربر غريان (أوغسطيني، 1974م، 575-576).

ومن خلال ما سبق ذكره نلاحظ أن البربر يشكل الغالبية العظمى من سكان الإقليم، وهم ينتمون إلى قبائل متعددة مثل هوارة، وزناتة، وكتامة، ولواتة، ومصمودة، ومزاتة، وصنهاجة (الحميري، 1984م، ص441)، فقبيلة هوارة تعد من بطون بربر البرانس، ومنها انفصلت قبائل أخرى، أهمها مزاتة، وتمثل هذه القبائل العناصر الرئيسية للسكان في الإقليم، ففي زمن البكري، كانت زلة مدينة ضخمة بها جامع كبير ومساحات شاسعة من النخيل، وكان سكانها من مزاتة (البكري، د.ت، 10-11)، حدد جاك تيري موطن مزاتة بأنه يمتد من نقطة على مسيرة يوم غرب أجدابيا –حد قبائل إقليم برقة– حتى تاورغا – حد قبائل هوارة طرابلس الغرب – ويشمل موطنهم نحو الجنوب على الجفرة (تيري، 2004م، ص446)، وفي القرن العاشر، كانت قبائل مزاتة قوية بما يكفي لطرد الجرمنت وتأسيس أسرة حاكمة في زويلة، مما أغرى مزاتة زلة بالهجرة نحو الجنوب ليحل محلهم آخرون، وذكر الإدريسي في القرن الثاني عشر أن سكان الواحة كانوا من هوارة، وبهذا بدأت هجرة هوارة نحو الجنوب ليصبحوا جيرانًا للمطة، وكان هوارة زلة يقدمون الحماية للمسافرين ويزاولون التجارة، وسوقهم كانت مقصودة، وكانت الطرق تربطها بأوجلة وودان وسرت والكفرة نحو بلاد السود (الإدريسي، 1989م، مح/ 312-313)، ففي مدينة زويلة، تأسست مملكة بني الخطاب بفضل هذه القبيلة، واستمر حكمهم حتى أُطيح بهم من قبل قراقوش

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

الأرميني (ابن حوقل، 1992م، ص102–103)، ويؤكّد على ذلك الحميري بقوله: " هي منسوبة إلى هذا الرجل وهي الآن عامرة " (1984م، 295، 296)، وقد ظل يتوارثها ملوكها حتى غزاها قراقوش الأرميني مولى تقي الدين أخ صلاح الدين الأيوبي وأطاح بآخر ملوكها محمد بن الخطاب (أم العز عبدالقادر، 2017م، ص9)، كما استوطنت قبيلة هوارة وأكثرها مزاتة مدينة زلة (الحميري، 1984م، 282).

2– العرب : ثاني أكبر عنصر سكاني في المجتمع الفزاني، بدأ توافد العرب على الإقليم مع بداية الفتوحات الإسلامية، فالعرب ومنذ عهد الفتوحات أخذوا في التوطن بالشمال الإفريقي أفرادا وجماعات، واستقر عدد من الفاتحين فيها، قام القائد عقبة بن نافع بتأسيس حامية إسلامية في زويلة بعد أن أتم الفتح، ودعاة يعلمون الأهالي أصول دينهم الإسلامي (البلاذري، 2008م، ص209؛ أم العز عبد القادر، 2012م، ص74–75).

فقد ذكر اليعقوبي وجود " أخلاط من أهل خُراسان من البصرة والكوفة " في زويلة (د.ت، ص183)، كما استقرت بفزان بعض القبائل اليمنية القادمة من جنوب الجزيرة العربية، إلى جانب الفارين الذين نزحوا من أوطانهم لأسباب سياسية أو مذهبية (أيوب، د.ت،ص89)، إلا أن تعدادهم لم يبلغ غالبية السكان إلا بالتغريبة الكبرى لبني هلال وبني سليم، ومن معها من قبائل العرب الأخرى، فقد توالت هجرات العرب إلى الإقليم تباعًا، حيث شهد الإقليم هجرات من بني هلال وبني سليم من صعيد مصر إلى بلاد إفريقية في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، مما أدى إلى تعريب أهالي الإقليم وتأثيرهم في النسيج الاجتماعي (الدناصوري، 1967م، ص176)، وعندما جاءت قبائل بني هلال وسليم إلى المنطقة أخذوا بدورهم يدفعون بالقبائل اللواتية والهورارية والزناتية وغيرهم إلى الجنوب، حيث كانت تعيش قبائل الطوارق، التي امتزجت معها قبائل هوارة ومزاتة ولواتة وزناتة وغيرهم واندمجوا مع بعضهم وارتبطوا بوشائج الدم واللغة المشتركة واللهجات المتقاربة (ابن خلدون، 1971م، ج6/ 141– 143؛ السباني، 2006م، ص348)، وعلى الرغم من قلة انتشار العرب وكثرة البربر، إلا أن بعض القبائل البربرية من مزاتة انتموا إلى العرب اليمنية وجعلوا أنفسهم في حكم العرب، وهذا ما يفسر أن العادات والتقاليد العربية لقيت قبولاً حسنًا لدى البربر، وقد ساعد ذلك على تغلغل الإسلام ليس في الواحات الليبية فقط؛ بل انتقل إلى افريقيا الوسطى بواسطة القوافل التجارية العابرة، وساهم ذلك في انتشار اللغة العربية والعادات والتقاليد (مفتاح، 1978م، ص190).

3– شعوب السودان: شكّل السودانيون جزءًا كبيرًا من العناصر السكانية في فزان بصفة عامة، وزويلة بصفة خاصة، حيث تم جلبهم كرقيق من بلاد السودان، ذكر اليعقوبي أن عبيد زويلة كانوا " من الميريين والزغاويين والمرويين وغيرهم من أجناس السودان " (د.ت، ص183)، فمدينة زويلة قد تبوأت الصدارة في تجارة الرقيق، حيث يصدر منها إلى ناحية إفريقية (البكري، د.ت، ص11)، يؤيّد ذلك صاحب كتاب الاستبصار بقوله: "مدينة زويلة مجمع الرفاق، وإليها يجلب الرقيق ومنها يخرج إلى بلاد إفريقية وغيرها من البلاد " (1985م، ص146).

4– الطوارق (التوارق): الطوارق مفردها طارقي، وقد ذكر الوزان " شعب تاركة " اللذين يقطنون " الصحراء الثانية غربًا في تخوم تغرة، وتمتد شرقًا إلى تخوم الأير" (1983م، ج2/ ص150)، وقد اختلف في أصل التسمية، فمنهم من يرى أنها مشتقة من كلمة "ترك"، وسبب تسميتهم بذلك؛ لأنهم تركوا دينهم (الدالي، 2006م، ص8)، وفسر البعض أن كلمة الطوارق مكونة من مقطعين " طوا " وتعني "شعب"، و " رق " اسم لمكان وبذلك تكون كلمة الطوارق بمعنى " شعب رق " (الوزان، 1983م، ج2/ 150– 151؛ (الدالي، 2006م، ص9)، كما أورد الوزان معنى آخر لكلمة تاركي: بأنها كلمة بربرية، معناها قناة، ويطلق في لهجة الشمال – تمهاك – على فزان، وأطلقه العرب على السكان الملثمين، وذكر

كذلك أن تاركة: قبيلة من قبائل صنهاجة بالصحراء، ينسب إليها بلفظ تاركي، والجمع توارك، وحرف على لسان المشارقة إلى طوارق – بالطاء بدل التاء – وقد ذكر شعب تاركة في النصوص العربية منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي (الوزان، 1983م، ج2/ 150)، ويعيشون في أطراف فزان الغربية والجنوبية الغربية، ينقسمون إلى طوارق الشمال، وهم أزقر وهقار، ويقيمون في جبال هقار في جنوب غربي بلدة غات، حتى توات في الصحراء الجزائرية، بينما وطوارق الجنوب وهم كيلوي وأولمدّن أو أوليمين ينتشرون في المناطق مابين آزين وإقليم النيجر في أفريقيا الوسطى (أوغسطيني، 1974م، ج1/ 588؛ مناع، 2013، ص558)، وقد ذكر منهم في بلد تساوة عائلة الحاج أبي بكر من طوارق تينلكم من المرابطين وينحدرون بصفة عامة إلى بربر صنهاجة (الوزان، 1983م، ج2/150 هامش رقم 70)، وكان جل أهل مدينة غات من قبائل الطوارق (ناجي، 1970م، ص107)، حيث ذكر أغسطيني أن سكان بلدة جانت في غات من طوارق أزقر (1974، ج1/ 587)، الذين كانوا حريصين أشد الحرص على سلامة القوافل التجارية في الصحراء (الرباصي، 2006م، ص95).

وخص مناع الطوارق الأزقر بالذكر، على أنهم قبيلة ليبية قديمة، وانتقلت من الشمال إلى الجنوب خلال القرن الرابع الميلادي، ولعله جانبه الصواب في ذكر الرابع الميلادي، بدلاً من الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وانتشروا في المنطقة الممتدة بين غدامس وتمبكتو، واعتبرهم من سلالة قبيلة صنهاجة، وينقسم الطوارق الأزقر إلى أربع شعب هي: شعبة ايمنان، وشعبة أوراغن، وشعبة ايمنغساتن، وايفوغاس (فوقاس)، ومعظم تلك الشعوب تقيم في فزان ومختلف اتجاهاتها (2013م، ص557– 560).

أما عن المرأة عند الطوارق فتميزت بمنزلة اجتماعية عالية، حيث حازت على قدر كبير من الحرية، وكانت لها حقوق كثيرة تماشيًا مع روح الدين الإسلامي، وعندما تسوء العلاقة بين الزوجين وتصل للفراق، يخرج الزوج تاركًا لها البيت والأولاد، بالإضافة إلى ذلك، تشارك المرأة في كل ما يتعلق بأمور الحياة، من تحمل مسؤولية أبنائها وتنشئتهم التنشئة الصالحة، إلى القيام بالأعمال المنزلية (آماهين، 2007م، ص271، 288).

5– التبو :التبو أو التيبو بلغة أهل كانم يعني سكان الجبال، وهم قليلون في فزان مقارنةً بالشرائح الأخرى، فقد سكنوا أقصى جنوب فزان في مناطق قطرون وتجرهي وغيرها.

6– اليهود : تواجد اليهود في المناطق الحيوية ذات الأهمية الاقتصادية لا يخفى، ويوضح البلاذري وجود طائفة اليهود في الإقليم أثناء حديثه عن الفتوحات الإسلامية للإقليم، كانوا يدفعون الجزية، وكانت لديهم معاهدات وبعض اليهود استقروا في مدينة زويلة وكوّنوا علاقات حسنة مع سكانها. يُذكر أنه جرت مناظرة في بلاط الوالي ابن الخطاب بين الشيخ أبا نوح ورجل يهودي يُقال له حلبي، ولكن اليهودي لم يجد جوابًا (الدرجيني، 1974م، ج1/156).

وتجدر الإشارة هنا إلى ذكر بعض العائلات التي وجدت في مدن فزان على سبيل المثال لا الحصر، ففي مرزق ذكر بأن أشهر عائلاتها ترجع إلى المماليك، والشواشنة (هنريكودي أغسطيني، 1974م، 564؛ مناع، 2013، ص528–529)، وفي زويلة ، والتي تشمل مجدول وتربو وأم الزوير وتمسة، وتنسب عائلاتها إلى الهنادي من هنادي ودان من الأشراف، السود من الأشراف، عائلة الزويلي بربر محليون تمسة: البلد الفقهاء وفيها أولاد أبي القاسم، وأولاد حزاز، وأولاد زيدان، (هنريكودي أغسطيني، 1974م، 572– 573)، وسبها عدد مناطقها كالجديد والقرضة وحجارة وتمنهد وذكر اشهر عائلاتها أولاد الحضيري وأولاد الزين، وأولاد زائد، والسوالم، والرواشدة (هنريكودي أغسطيني، 1974م، 574–576)،

رابعًا/ طبقات المجتمع:

1- الطبقة الخاصة: هي الطبقة العليا في المجتمع، وتتمثل في الحكام، والملوك، والأعيان، والوجهاء، هؤلاء الأشخاص سيطروا على زمام الأمور وتمتعوا برغد من العيش، ويجدر بالذكر أن المصادر التي توجد بين أيدينا لم تقدم أسماء الملوك والسلاطين الذين حكموا إقليم فزان، وربما يعود ذلك إلى عدم الاستقرار السياسي وكثرة الحروب والنزاعات، مما أدى للجوء أعداد كثرة من الأفراد الهاربين من وجه الخلافة العباسية، سواء لأسباب سياسية أو مذهبية، كما رحلت أعداد كبيرة عن مواطنهم لأسباب حربية وغير حربية، كل ذلك كان في ظل الدولة الرستمية، ولكن عندما انقرضت على أيدي الفاطميين مع نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، أصبحت بعض جهات فزان تابعة إداريًا لإمام جبل نفوسة، وإن كانت لم تستمر طويلاً هذه التبعية (البرغوثي، 1972م، ص258)، ومع ذلك يعود الاستثناء إلى فترة حكم ملوك بني الخطاب في القرنين الرابع والسادس الهجريين/ العاشر والثاني عشر الميلاديين، كان هؤلاء الملوك يعيشون في ترف ونعيم، حتى وصلت لدرجة أنهم كانوا يبالغون في إغداق هداياهم، على سبيل المثال، أرسل أحد ملوك بني الخطاب هدية إلى الأمير منصور بن بلكين بن زيري بمناسبة ختان ابنه، وكانت الهدية تتضمن زرافة وقطع أثاث من السودان (ابن أبي دينار، 1386هـ، ص77)، كما قاموا بصك دنانير من الذهب (أيوب، د.ت، ص90)، مما يعكس ثرائهم الكبير، حيث ذكر الوزان عن فزان أنها " عامرة بناس أغنياء يملكون النخيل والأموال، ... ويحكم فزان أمير هو بمثابة القاضي الأول للشعب، يتصرف في جميع موارد البلاد لفائدة الجماعة " (1983، ج2/ 146- 147)، وتميزت مقابرهم عن مقابر العامة بأنها كانت أضرحة مبنية على خط واحد يمتد من الشمال إلى الجنوب، وكانت تأخذ شكل حجرة مربعة تصل ارتفاعها إلى سبعة أمتار تقريبًا، وتكون قبتها مبنية من الطين والحجارة (الدراجي، 2013م، ص171)، وهذا ما أكده البرغوثي، بأن " بنو الخطاب أنشأوا لهم أشبه ما يكون بمملكة صغيرة في زويلة والمنطقة المجاورة لها من 306- 568هـ." (1972م، ص258).

كما أبدى ملوك بني الخطاب اهتمامًا بالعلم والعلماء، وعاملوهم بلطف وكرم، وكانوا يعقدون مناظرات علمية في مجالسهم، وكان لأعيان ووجهاء زويلة نفوذ واسع (الدرجيني، 1974م، ج1/ 156)، وأشار اليعقوبي إلى أنهم كانوا " أخلاطًا من الناس لهم رئيس يطاع فيهم (د.ت، ص184)، "وعاشت المرأة من طبقة الخاصة حياة مرفهة ومليئة بالنعيم، كانت لها علاقة وثيقة بالحكام، حيث شاركت في إدارة شؤون الإقليم وراسلت الولاة (خوجة، 1979م، ص52- 55)، ولكن بسقوط زويلة عاصمة فزان، أصبحت المنطقة في فراغ سياسي، حتى تمكن ملوك كانم من مد سيطرتهم عليها، وعين دونمة دابلامي (658هـ/ 1259م)، حاكمًا على فزان يعاونه جنود كانميين، وجعل تراغن قاعدة لحكمه، ولم يستمر حكمهم مدة طويلة، ففي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ظهر الخرمان في وادي الآجال وتمكنوا من طرد الكانميين وسيطروا عليها، وفي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ظهر الطوارق واشتبكوا في صراعات مستمرة مع الخرمان، حتى أصبحت فزان في حالة من عدم الاستقرار، مما أتاح لأسرة أولاد محمد الفاسي السيطرة على المنطقة في منتصف القرن (السباني، 2006م، ص385 - 387).

2- الطبقة الوسطى: في إقليم فزان لا تعاني من نفس صعوبات الحياة التي تواجهها الطبقة العامة، وتضم هذه الطبقة شرائح اجتماعية متنوعة، منها:

أ- **العلماء:** ارتبط التعليم الذي ساد في إقليم فزان بمراكز علمية مختلفة، وقد مر بالعديد من المراحل، كان وراءها مجموعة من الأفراد في أوقات متفاوتة وأجيال متعددة، حتى كان نتاج تلك الجهود بروز عديد من الشخصيات التي كان لها الدور الأساسي في انتشار التعليم في الإقليم، وبهذا زخرت مدن إقليم فزان بعدد من رجال العلم وطلابهم، غالبًا ما يتسمون بطابع

الزهد والتقشف، من بينهم العالم المفسر أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر الزويلي (توفي 391 هـ / 1000 م)، الذي كان حافظًا للقرآن ومفسرًا له (ابن عريفة، 2010م، ص177)، والعلامة الكبير عبد الحميد الفزاني (توفي في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)، أحد أئمة الفقه الإباضي في فزان، وقاد رحلة إلى بلاد السودان، التي كانت وجهة لتجارة الذهب في تلك الفترة (بابا عمي وآخرون، 2000م، ج2/244)، بالإضافة إلى ذلك، ضمت طبقة العلماء بعض الشيوخ الذين كانوا يتولون الأمور الإدارية في الإقليم، وكان لديهم السلطة لتعيين القضاة ومراقبتهم، مثل العالم أبو يوسف وريون بن الحسن (بابا عمي وآخرون، 2000م، ج2/ 245)، وكذلك عبد الخالق الفزاني " كان في المنزلة العليا علمًا وعملاً وورعًا وتقى " و وهو من مشايخ فزان له فتاوي كثيرة، كان عالمًا ورعًا ومفتيًا، ومن مشايخ فزان أيضًا إدريس الفزاني، وأبو الحسن جناو بن فتى المديوني (الشماخي، 1987م، ج1/ 163- 165).

ب- **التجار**: كان للتجار مكانة مرموقة في المجتمع الفزاني، وحققوا أرباحًا وفيرة من تجارة المنتجات مثل التمور والرقيق، كانوا ينظمون قوافل التجارة ويساهمون في انتعاش الاقتصاد (الإدريسي، 2002م، مج1/ 312)، وأدّى انتعاش التجارة في مدن الإقليم إلى انتشار الأسواق فيها، وذكر محمد أيوب عن الحالة الاجتماعية في فزان " والعجيب أن هذا الخليط المكون من البربر والعرب والفرس وأهل فزان قد استقروا في ظل الإسلام يمارسون تجارتهم" (د.ت، ص89)، فمدينة زويلة، التي اشتهرت بكثرة أسواقها، كانت مقصدًا للمسافرين الذين يحملون أمتعة من جهازها وجملا من البضائع (الإدريسي، 2002م، مج1/ 313)، فأضحت مدينة كبيرة بها مسجد وأسواق وحمامات ومنازل (البرغوثي، 1972م، ص259)؛ يدخل منها إلى عديد بلاد السودان، لها نخل كثير، وثمرها حسن، فكان التجار في أسواق غانا يهتفون باسم زويلة (البكري، د.ت، ص183)، ومدينة زلة أيضًا كانت تعرف بأسواقها العامرة بالبضائع، " وبها أخلاط من البربر من هوارة وتجارات " (الإدريسي، 2002م، مج1/ 312)، وكذلك مدينة سبهي وتمسى (البكري، 1857م، ص11- 12)، فكثرة الأسواق ما هي إلا دليل على وجود التجار في مختلف مدن فزان، وكذلك مدينة غات كانت تشهد سوقًا موسميًا يُقام مرة في العام (ناجي، 1970م، 107).

ج- **الصناع (أصحاب الحرف اليدوية)**: وجدت العديد من الحرف والصناعات اليدوية، التي اشتهرت في إقليم فزان، وهذا استلزم وجود الحرفيين والصناع، وكذلك توفر المواد الخام، سواء كانت تلك المواد معدنية، أو زراعية، أو حيوانية، ومن أشهر تلك الصناعات أولاً/ الصناعات التي قامت على شجرة النخيل، ثانيًا/ الصناعات الخشبية، ثالثًا/ الصناعات الجلدية والفخارية والنسيج (فريد، 2020م، ص251- 273).

3- **طبقة العامة**: وتشمل الغالبية العظمى من سكان إقليم فزان، وتضم شرائح مختلفة، في مقدمتها، نجد الرقيق أو العبيد، الذين اكتظت بهم مدينة زويلة أكثر من غيرها من مدن الإقليم، التي تحصل عليهم بطريقتين، إما بقيامها بتحويل سود لرقيق، أو بشرائهم من ملوك السودان، الذين يبيعونهم، ويتم تجميع هؤلاء الرقيق من بلاد السودان من قبائل الميريين والزغاويين، وكذلك من أجناس أخرى لقربها من زويلة وإليها (اليعقوبي، د.ت، 134؛ البكري، د.ت، ص11)؛ وفي كوار التي تبعد مسافة خمسة عشر يومًا جنوب زويلة، حيث السكان المسلمون مختلطون وغالبيتهم من البربر، كان السود يباعون (تيري، 2004م، ص462)، ويذكر البكري أن زويلة أول حد بلاد السودان، ومنها يأتي العبيد الذين يباعون في أفريقية والجوار، وتتم المبادلات فيها عن طريق قطع قصيرة من القماش الأحمر (البكري، د.ت، ص11)، وكان الرقيق يستخدمون في الصناعات اليدوية مثل صناعة أواني الطبخ وحفظ التمور والحصران؛ بالإضافة إلى ذلك يشمل هذه الطبقة فئة من رعاة الإبل، في جنوب جرمة، يمتلك قوم بربر رُحَّل إبلا كثيرة يرتعون بها حول الجبال المجاورة (الإدريسي،

2002م، مج1/ 112، 113)، وقد ساهم الزواج المختلط ووجود العبيد في زويلة الذين يفترض بقاء كثير منهم فيها، في التأثير السوداني الذي نجده حتى اليوم في اللباس، والفلكلور والعادات المتبعة في احتفالات الزواج (تيري، 2004م، ص473)، كما يشمل العامة فئة اللصوص وقطاع الطرق، الذين وجدوا في مدينة زويلة، ويُظهر ذلك من خلال الطريقة البارعة التي يستعملها السكان في حراسة المدينة، حيث يدور الحارس المناوب المسؤول عن المراقبة حول المدينة بخيول تربط على ظهره مجموعة من فروع الأشجار، ويقوم بجرها على الأرض، وفي صباح اليوم التالي يقوم الحارس ورفاقه بالركوب على الجمال ويدورون حول المكان، فإذا لاحظوا آثارًا على الرمال يعملون على تتبع الهارب والإمساك به في أي اتجاه ذهب سواء كان لصًا أو عبدًا أو أمة أو بعيرًا (البكري، د.ت، ص11)، وكانوا إذا سرق السارق عندهم كتبوا كتابًا يتعارفونه، فلا يزال السارق يضطرب في مكانه ولا يفتر حتى يقر ويرد ما أخذه، ولا يسكن عنه ما به حتى يمحى ذلك الكتاب (البكري، د.ت، ص10).

كما ضمت طبعة العامة فئة الدجالين والمشعوذين أيضًا تنتمي إلى هذه الطبقة، كان بعض الأشخاص يلجأون إليهم عند ضياع أحد أغراضهم ليضربوا لهم خطًا في الرمل لكشف مكان ما ضاع منهم (الإدريسي، 2002م، مج1/ 113)، وبالنسبة للمرأة من هذه الطبقة، فقد تمتعت بالخصوبة، حيث لا توجد امرأة إلا ويتبعها أربعة أو خمسة أولاد (أم العز عبد القادر، 2012م، ص88)، كما كان لها مساهمة فعالة في الحياة الاقتصادية من خلال مشاركتها في أعمال الحقل مثل الحراثة والحصاد ورعاية الغنم والبقر وحلبها (ابن موسى، 1988م، ص58).

خامسًا/ الأطعمة:

كانت حياة العامة في إقليم فزان مرتبطة بالأرض، حيث اعتمدوا بشكل كبير في طعامهم على منتجات الأرض، كالنخيل الذي يوجد بكثرة في الإقليم، بالإضافة إلى الذرة والشعير، فمدينة زويلة عُرفت بتنوع محاصيلها من الذرة والتمور مختلفة الأصناف (الإدريسي 2002م، مج1/ 112)، حيث يصفها اليعقوبي بأنها " أرض نخل وذرة " (د.ت، ص183)، وكذلك مدينة زلهي أيضًا كانت تُعرف بأنها " كبيرة واسعة... ولها نخل كثير وعين ماء نزه " (البكري 1992م، ج2/ 659)، وهذا يؤكد أن معظم سكان فزان يعتمدون على التمر والذرة والشعير في صنع الخبز، وقد تنوّعت الأطعمة الشهية في إقليم فزان، ومنها:

- **الكسكسي:** يعتبر الكسكسي من الوجبات الشعبية المعروفة، ويصنع من دقيق القمح، بعد أن يتم طحنها، ثم يغربل الدقيق حتى يفصل الدقيق الناعم والسميد، ويوضع كل منهما في إناء، وتؤخذ كمية من كل منهما، ويبرم في طبق حتى يصبح حبيبات صغيرة (فريد، 2020م، ص245)، بواسطة راحة اليد بإناء مخصص لذلك، وبعد طهيه في قدر (كسكاس) مصنوع من الفخار، توجد به ثقوب في الأسفل عن طريق البخار، على أن يقلب عدة مرات؛ ليصبح جاهزًا للأكل، بعد أن يضاف عليه حساء اللحم، أو قليل من الزبد والشحم (القديد)، كما يمكن تناوله بحساء الطماطم والبصل والفلفل، الذي يضيف مذاقًا شهيًا للوجبة (العفيف، 2012م، ص188)، لذا يُعدّ من أطيب الأطعمة عند الأهالي، كما يوجد من يقوم بتزيينه بالبقوليات بعد نضجه (مفتاح، 1978م، ص178).
- **الدويدة:** لها عدة تسميات، حسب كل منطقة، تسمى هكذا في وادي الشاطئ، بينما بـ(الإطرية) في وادي الآجال، وهي شبيهة بـ (المكرونة السبقيتي في الوقت الحالي)، تصنع من دقيق القمح المعجون بالماء، ويبرم على سفرة باليد، لتكون على هيئة خيوط، وتجفف في الشمس، ثم تطبخ مع مرق اللحم لتصبح جاهزة للأكل (فريد، 2020م، ص245).

- **الفتات:** دليل وعنوان لكل فزاني (فريد، 2020م، ص246)، وجبة من الأكلات الشعبية المعروفة في عديد مدن الجنوب عمومًا كسوكنة وهون وودان وفزان، وتقدم هذه الأكلة في مختلف المناسبات الاجتماعية، وتصنع من رقائق عجين دقيق القمح بعدما يطحن بواسطة رحى حجرية، وتخبز في الأفران الموجودة في البيوت (العفيف، 2012م، ص188)، وبعد نضجه كشرائح رقيقة من الخبز تُغمس بالمرق ويُضاف إليها اللحم والبصل واللوبيا والقرع، أو اللبن والشحم، أو الطماطم والفلفل والسمن، تم توضع رقائق الفتات فوق بعضها البعض واحدة تلو الأخرى، لتصبح جاهزة للأكل (العفيف، 2012م، ص188).
- **السويقة:** تُصنع من الشعير ذو الحبة الغليظة، بعدما ينقع في الماء داخل القدر، ويضاف إلية الملح، ويترك على النار حتى يصبح الشعير طريًا، ثم يصفى من الماء، وينشر في الشمس، ثم يقلى في الصاج، وبعدها يهرس في المهراس، ثم غربلتها وطحنها، مع إضافة بعض الأعشاب البرية كاالكمون، لتكسبه رائحة وطعمًا لذيذين (فريد، 2020م، ص246).
- **الكسرة والهريسة:** الكسرة أحد أنواع الحلويات التي تشبه البقلاوة التركية، أما الهريسة فهي الشعير المهروس منزوع النخالة (فريد، 2020م، ص246– 247).
- **التمور:** وجبة البدوي التي يكتفي بأكلها في البادية، فهو الغداء الميسور في السفر والحضر، فمن الممكن أن يأكل التمر وحده لعدة أيام مع قليل من اللبن أو الماء، فأكثر ما اشتهرت به فزان هو النخيل، فكانوا يمجدونها ويعددون فضائلها، ومدى أهميتها في حياتهم اليومية، في حلهم وترحالهم، فالاستفادة من النخيل لم تقتصر على الأكل فحسب، بل حتى في العديد من المصنوعات الحرفية اليدوية المختلفة، التي تشكل الحاجة إليها أساس اختراعها، لذلك وردت في أمثاله الشعبية التي منها " بر بلا نخلة، سرعان ما يخلا "، كما تغنوا في اشعارهم مثل قول الشاعر

كل التمر واشرب الماء * وهذي أخيار النعائم

(العفيف، 2012م، ص189– 190)

- **اللاقبي:** شراب كالعصير، يستخرج من شجرة النخيل، حيث يقومون بنزع رأس النخلة، حتى إذا وصلوا إلى لب جمارتها تركوها، وأحاطوها بحوض من نفس النخلة مع طور من جريدها، فتنزل جمارتها سائلاً مذاقه حلو كالعسل (العفيف، 2012م، ص191)، كما اشتهر الأهالي بتناول لحم الجمال المقدد وشرب ألبانها، مما يُظهر وجود الجمال بأعداد كبيرة في الإقليم (الإدريسي، 2002م، مج1/ 115).

سادسًا/ الزي الشعبي (الملابس):

يعد الزي الشعبي هو الزي الموروث الذي عاش به أباؤنا وأجدادنا، فكل منطقة من مناطق فزان تميزت بالزي الخاص بها، فكان أهل زويلة يلبسون ثيابًا حمراء قصيرة، وكانوا يتفنّون في حياكتها (البكري 1992م، ج2/ 658)، فالأعيان والأشراف كانوا يرتدون قميصًا طويلا عريض الأكمام، مصنوعًا من القطن الذي يحصلون عليه من بلاد السودان، وكانوا يضعون لثامًا أسودًا على رؤوسهم يحجب وجوههم، ولا يكشفونه أبدًا (الحسن الوزان، 1983م، ج1/ 58، 59).

أما ما كانوا يلبسونه في أرجلهم من النعال كانت تُعرف بـ (المداس)، وكانت خفيفة الوزن ومحاطة بسير حول القدم، ومع مرور الوقت، تطوّرت صناعتها لتشمل أنواعًا غاية في الدقة والإتقان مثل البُلغة والسُباط (الماعزي، 2003م، ج2/ 254، 255).

وعن ملابس المرأة في فزان، فتكوّنت من غطاء للرأس وسورية ذات أكمام واسعة، إلى جانب لحاف عام يغطي معظم الجسد من الرأس إلى ما دون الأرجل (الماعزي، 2003م، ج2/ 250)، أما لباس المرأة في غير المناسبات الاجتماعية فلا يختلف بين الحضر والبادية، على السواء في مناطق الساحل وفزان، كما اقتنت المرأة بعض الحلي (العفيف، 2012م، ص193– 194).

سابعًا/ العادات والتقاليد:

تغيرت الحياة الاجتماعية في إقليم فزان بعد الإسلام، فأثر في بعض عاداتهم وتقاليهم التي تتنافى مع شريعة الدين الإسلامي، فرسم سلوكيات جديدة اعتمدت على الثقافة الإسلامية، متغلبين على العادات التي نهى عنها الإسلام، فتبلورت عادات وتقاليد وثقافة انتشرت بين مكوناته الاجتماعية بمختلف انتمائها بعد أن أصبح جزءًا من العالم الإسلامي، وما يميز المجتمع الفزاني التعايش والتمازج بين أفراده، فهم أقارب بالدم أو يتجاورون في الأرض، وينتسبون لنطاق الإقليم، وتتسم العلاقات بطابع أخلاقي، حيث يحسمون أي نزاع عبر اجتماع وجهاء القبائل ويجدون حلاً له، يُلزمون المعتدي بالكف عن إيذائه للآخرين، ويتميز الأهالي بالعديد من العادات الحسنة والأخلاق الرفيعة والقيم النبيلة، حيث يفخرون بإكرام الضيف والمروءة، ويُظهر ذلك قول الإدريسي عن مدينة زلة: " وفي أهلها حماية ومروءة " (2002م، مج1/ 312)

ومن أحد عادات أهل زويلة هو تقصي الأثر عند حراسة مدينتهم، فكانوا يستخدمون دابة ويربطون عليها حزمة من جرائد النخل، ثم يدورون بها حول المدينة، فإذا رأوا أثرًا خارجًا من المدينة، يتبعونه حتى يدركوا مكان السارق، سواء كان لصًا أو عبدًا أو أمة أو بعيرًا (البكري، د. ت، ص11)، وهناك عادة غريبة أخرى تتعلق بمعاقبة السارق، حيث يكتبون كتابًا يتعارفونه، والسارق يظل يضطرب في موضعه حتى يعترف ويرد ما أخذ (البكري، د.ت، 10).

1– الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف: لا يوجد أي نص قرآني أو حديث نبوي يشير إلى الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكن هذا الاحتفال موجودًا في عصر الخلفاء الراشدين أو الصحابة، ومع ذلك، اعتبر الإمام جلال الدين السيوطي الاحتفال بالمولد من البدع الحسنة التي يُثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم وإظهار الفرح بمولده الشريف (الحضيري، د.ت، ص163)، وعلى الرغم من عدم وجود دليل محدد على بداية الاحتفال بهذه المناسبة في إقليم فزان، إلا أنه يمكن التأكيد على أن سكان فزان يحتفلون بهذه المناسبة في جميع مناطقهم، وقد اعتادوا على إحيائها، ولا تزال هذه العادة مستمرة، كما يحتفل أهالي فزان بالأعياد الدينية الأخرى مثل عيدي الفطر والأضحى، وبعض المناسبات الدينية الأخرى كعاشوراء، والوقوف بعرفة، وغيرها من التقاليد الخاصة بهم (قائد، 2020م، ص426–428).

2– الاحتفال بيوم عاشوراء: تحتفل مجتمعات إقليم فزان بيوم عاشوراء كأحد الظواهر الاجتماعية، حيث يجسد هذا اليوم انتصار الحق الإلهي بنجاة سيدنا موسى عليه السلام من فرعون، وقد أشار أبو بكر قائد إلى أن مظاهر الاحتفال قد تتضمن بعض التجاوزات التي تخالف ضوابط الاحتفال، مثل سلوكيات الشيعة وطقوسهم التي تأثرت بها مناطق فزان لإحياء ذكرى كربلاء واستشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه، وهذا يخالف ما نصت عليه الشريعة الإسلامية (قائد، 2020م، ص429).

3– توديع واستقبال الحجاج: يستعد سكان إقليم فزان مبكرًا لموسم الحج نظرًا لبعد المسافة عن الحرمين الشريفين، حيث يقوم الحاج بتسديد ديونه وتوفير ما يكفي لأسرته خلال فترة غيابه، بالإضافة إلى الاستعداد الصحي والبدني وتأمين رحلة الذهاب والعودة، وقد اعتاد سكان الإقليم، كغيرهم من مناطق العالم الإسلامي، على إقامة احتفالات لتوديع الحجاج

واستقبالهم عند عودتهم (قائد، 2020م، ص430)، ومن خلال ما سبق ذكره، نلاحظ أن إقليم فزان يعد منطقة عبور ومحطة لمواكب الحج، مما يؤثر على الحركة الاقتصادية والثقافية، حيث تعتبر مسالك الحج التي تمر عبر فزان من الغرب إلى الشرق، مثل مدينة تمسة التي تعد آخر محطة في فزان قبل الدخول إلى جبال الهروج، مسالك مهمة واستراتيجية، يتمكن الحجاج من خلالها من حمل بضائع مختلفة بقصد التجارة، إلى جانب أداء فريضة الحج (قائد، 2020م، ص430-431).

الخاتمة: بعد دراسة المظاهر الاجتماعية في إقليم فزان في العصر الإسلامي، توصلنا لعدد من النتائج أهمها:

- يتمتع إقليم فزان بموقع جغرافي واستراتيجي مهم، رغم عدم ثبات حدوده ومعالمه خلال العصر الإسلامي، حيث كانت تتغير بين التوسع والانحسار.
- تميز الوضع السياسي والإداري في إقليم فزان بعدم التبعية للسلطة المركزية، وكان يسعى في أغلب الأحيان للاستقلال بالحكم.
- دخول الإسلام إلى إقليم فزان كان نقلة نوعية في مختلف جوانب المجتمع، مما أدى إلى تمازج بين سكانه وتغير في عاداتهم وتقاليدهم بما يتماشى مع الدين الإسلامي.
- تعرض الإقليم لهجرات سكانية متعددة في معظم مراحله، مما أثر على تركيبته السكانية، وكان أشهر تلك الهجرات، الهجرات العربية التي أحدثت تغييرًا كبيرًا في التركيبة السكانية، حيث انصهرت القبائل البربرية مع العرب، مشكلين نسيجًا اجتماعيًا متنوعًا.
- يمتاز الإقليم بوفرة المياه الجوفية، وهي خاصية نادرة في المناطق الصحراوية، وساعدت الواحات المتناثرة فيه على تخطي الصعاب وتيسير التواصل بين مدن الإقليم والبلدان المجاورة.
- يُعد إقليم فزان مركزًا رئيسيًا وممرًا هامًا للطرق التجارية، حيث كان يضم محطات تجارية للقوافل ونقاط التقاء للتجار قبل انطلاقهم نحو بلاد السودان أو في طريق عودتهم، وهذا التحكم في بعض الطرق التجارية منح الإقليم أهمية استراتيجية واقتصادية كبيرة.
- شهد المجتمع في إقليم فزان تمايزًا طبقيًا نتيجة الظروف السياسية والأنشطة الاقتصادية، مما أدى إلى وجود ثلاث طبقات رئيسية تحتها فئات اجتماعية مختلفة، بما في ذلك من تبوأوا مكانة اجتماعية بارزة.
- ازدهرت الحضارة الإسلامية في الإقليم بانتشار الإسلام، مما أدى إلى بروز مدن أصبحت من أهم المراكز الحضارية في الإقليم، وقاعدة لانتشار الإسلام في المناطق المجاورة من بلاد السودان، وساهمت في حركة التعريب وتأصيل الثقافة الإسلامية.

مصادر البحث ومراجعه

أوّلا: المصادر:

- الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد، (1989م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، (1987م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، بيروت، دار إحياء العلوم.
- البكري، أبو عبيد، (د.ت)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
- البلاذري، أبو الحسن، (1988م)، فتوح البلدان، بيروت، منشورات مكتبة الهلال.

- ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، (د. ت)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: علي محمد عمر، مصر، مكتبة الثقافة الدينية.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، (1975م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان.
- ابن حوقل، أبو القاسم، (1992م)، صورة الأرض، بيروت، مكتبة الحياة.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (1971م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد، (1974م)، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، البُلَيدة.
- ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، (1386هـ)، كتاب المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، المحمدية، مطبعة الدولة التونسية.
- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى، (1970م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر.
- الشماخي، أحمد بن سعيد، (1987م)، كتاب السير، تحقيق: أحمد بن سعود الشيباني، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي للثقافة.
- ابن غلبون الطرابلسي، أبو عبد الله محمد بن خليل، (1349هـ)، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق الطاهر الزاوي، القاهرة، المطبعة السلفية.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (د. ت)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر.
- مؤلف مجهول، (1985م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الكويت، كلية الآداب.
- الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي، (1983م)، وصف إفريقيا، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله، (1990م)، معجم البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، (1890م)، مدينة ليدن، مطبعة بريل.

ثانيًا: المراجع:

- الأبيض، رجب نصير، (1998م)، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية.
- أغسطيني، هنريكودي، (1974م)، سكان ليبيا، ترجمة خليفة محمد التليسي، ليبيا– تونس، الدار العربية للكتاب.
- أماهين، الشاوي اللاله البكاي ،(2007م) ، الطوارق عبر العصور، دراسة وتحقيق إصلاح محمد البخاري حموده، بنغازي، دار الكتب الوطنية.
- أيوب، محمد سليمان، (د. ت)، مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 1811 ميلادية، طرابلس، المطبعة الليبية.
- بابا عمي، محمد بن موسى وآخرون، (2000م)، معجم أعلام الإباضية، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- بازامة، محمد مصطفى، (2018م)، صفحات من تاريخ فزان، بنغازي، دار الكتب الوطنية.

- البرغوتي، عبد اللطيف، (1971م)، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، بيروت، دار صادر.
- البرغوثي، عبداللطيف محمود، (1972م)، تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، بيروت، دار صادر.
- بشير، عبد الرحمن، (2001م)، اليهود في المغرب العربي، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- تيري، جاك، (2004م)، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، طرابلس، د.م، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع.
- خشيم، علي فهمي، (1967م)، نصوص ليبية، مصراتة.
- خوجة ، مصطفى ،(1979م)، تاريخ فزان، تحقيق حبيب وداعة الحسناوي، طرابلس.
- الخضيري، أبو بكر عثمان القاضي، (1989م)، فزان عبر العصور، بيروت، دار المحيط العربي.
- الدناصوري، جمال الدين، (1967م)، جغرافية فزان "دراسة في الجغرافية المنهجية الإقليمية"، بنغازي، دار ليبيا.
- الدويب، محمد المبروك، (2004م)، هيرودوت الكتاب الرابع، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس.
- الزاوي، الطاهر أحمد، (2018م)، معجم البلدان الليبية، بيروت: دار المدار الإسلامي.
- عثمان المختار العفيف، (2012م)، مدينة سوكنة دراسة تاريخية الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية. طرابلس، د.م، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية.
- ابن عريفة، الطاهر المهدي، (2010م)، تاريخ فزان الثقافي والاجتماعي، طرابلس، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية.
- قائد، أبو بكر محمد أبو بكر، (2020م)، تاريخ لإقليم فزان الإنسان والمجال من 22هـ إلى 939هـ، بيروت ،دار القماطي للطباعة.
- الماعزي، الأمين محمد، (2003م)، سكان فزان، دراسة وصفية قديمًا وحديثًا، بنغازي، دار الكتب الوطنية.
- مفتاح، صالح مصطفى، (1978م)، ليبيا منذ الفتح العربي حتّى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، د.م، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
- بن موسى، تيسير، (1988م)، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني دراسة تاريخية اجتماعية، طرابلس، الدار العربية للكتاب.
- ناجي، محمود، (1970م)، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى، بنغازي، منشورات الجامعة الليبية.
- الدالي، الهادي المبروك، (2006م)، قبائل الطوارق دراسة وثائقية، د.م: حقوق الطبع والتألف والنشر محفوظة للمؤلف.

ثالثًا: الدوريات:

- الدراجي، سعدي إبراهيم، (2013م)، أضرحة الأولياء الصالحين في ليبيا، دراسة أثرية معمارية، مجلة التراث العلمي العربي، بغداد، جامعة بغداد، العدد الأول.
- الرياصي، مفتاح يونس، (2006م)، ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو في العصور الوسطى، مجلة السائل، جامعة مصراتة، العدد الأول.

- عبد القادر، أم العز عبد القادر، (2012م)، الحياة الاجتماعية في إقليم فزان منذ الفتح العربي حتى نهاية القرن السادس الهجري، مجلة البحث العلمي، كلية البنات، العدد الرابع عشر.
- عبد القادر، أم العز عبد القادر، (2017م)، مملكة بني الخطاب، المجلة الليبية العالمية، بنغازي، العدد الرابع والعشرون.

رابعًا: الرسائل العلمية:

- أحويلات، فاطمة محمد، (1322 هـ)، تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء في الفترة (600هـ – 1164هـ / 1203م – 1750م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، أم درمان، جامعة أم درمان الإسلامية.
- عبد الصمد، عبد الصمد عبد القادر، (2014م)، مدينة زويلة خلال العصر الوسيط، دراسة سياسية حضارية بين القرنين (2– 7هـ/ 8– 13م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الدار البيضاء، جامعة الحسن الثاني المحمدية.
- قنة محمد، أبو القاسم السنوسي، (2017م)، واحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1835م– 1911م، دراسة تاريخية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، رسالة دكتوراه غير منشورة، السودان، جامعة النيلين.